



كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

**College of Sharia & Islamic Studies**

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

**Journal of College of Sharia & Islamic Studies**

نصف سنوية – علمية محكمة

**Academic Refereed – Semi-Annual**

**ISSN 5545 – 2305**

المجلد ٣٤ – العدد ٢ – خريف ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

**Vol. 34– No.2, 2016 A / 1438 H**

"نحو توظيف معايير الفاعلية في تطوير مقرر الثقافة الإسلامية بجامعة قطر"

تأليف

د. محمد أبوبكر المصلح

أستاذ مساعد – قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر

**ملخص:**

رغم أن هناك محاولات لتطوير مقرر الثقافة الإسلامية في عدد من الجامعات، إلا أن هذه المحاولات لا يبدو أنها حققت التطوير المنشود بالنظر إلى التحديات التي ينبغي أن يتعاطى معها المقرر والأهداف الأصلية التي ينبغي أن يحققها. فما السر في ذلك؟

على غرار المقولة المشهورة لرابعة العدوية "استغفارنا يحتاج إلى استغفار" نقول إن "تطويرنا يحتاج إلى تطوير"، ذلك أنه يفتقر إلى روح التطوير وجوهره ألا وهو الفاعلية. فما معايير التطوير الفعال؟

هذه الورقة ترمي إلى تسليط الضوء على معايير التطوير الفعال، وبلورة موجهات هادية ومقترحات عملية لتطوير مقرر الثقافة الإسلامية بجامعة قطر تطويراً فعالاً شكلاً ومضموناً ونهجاً تدريسياً في ضوء تلك المعايير. والورقة تقدم نفسها بالأساس على أنها "ورقة عمل توجيهية" لأي مشروع تطويري للمقرر يرمي إلى الفاعلية.

## **Abstract:**

While there have been attempts to develop the course of Islamic Culture in a number of universities, it does not seem that these attempts have achieved the intended development, considering the challenges that the course should deal with and its original goals which should be achieved. So, what is the secret behind this?

As the well-known saying of Rabia Al-Adawia “our act of seeking forgiveness needs an act of seeking forgiveness”, we say: our development needs development. This is because it lacks of the sprit and essence of development, i.e. effectiveness. So, what are the criteria of effectiveness?

This paper aims at shedding light on the criteria of effective development and propose guiding points as well as practical suggestions to develop effectively and comprehensively the course of Islamic Culture in Qatar University in light of these criteria. The paper presents itself as a “practical guiding paper” for any developing project of the course seeking effectiveness.

## المصطلحات الرئيسية:

- **معايير الفاعلية:** تحقيق أهداف نوعية بجودة عالية وبطرق إبداعية وباستثمار رشيد للموارد
- **التدريس الفعّال:** إيجاد بيئات للتعلم المحفّز والتي ينخرط فيها الطلاب مع محتويات المقرر انخراطاً كاملاً
- **الإبداع:** عملية تحويل فكرة مبتكرة إلى ممارسة جديدة ومفيدة

## استهلال:

على الرغم من أن هناك محاولات لتطوير مقرر الثقافة الإسلامية في عدد من الجامعات، إلا أن هذه المحاولات لا يبدو أنها حققت التطوير المنشود بالنظر إلى التحديات التي ينبغي أن يتعاطى معها المقرر والأهداف الأصلية التي ينبغي أن يحققها. فما السر في ذلك؟

على غرار المقولة المعبرّة المشهورة لرابعة العدوية - رحمها الله - "استغفارنا يحتاج إلى استغفار" نقول إن "تطويرنا يحتاج إلى تطوير"، ذلك أنه يفتقر إلى روح التطوير وجوهره ألا وهو الفاعلية. فما معايير التطوير الفعّال؟

هذه الورقة ترمي إلى تسليط الضوء على معايير التطوير الفعّال، وبلورة موجّهات هادية ومقترحات عملية لتطوير مقرر الثقافة الإسلامية بجامعة قطر تطويراً فعّالاً شكلاً ومضموناً ونهجاً تدريسياً في ضوء تلك المعايير.

ولتحقيق الغرض المنشود؛ سنتناول في هذه الورقة - بعون الله - القضايا والموضوعات الآتية:

- ✓ السياق التاريخي لنشأة مقرر الثقافة الإسلامية في الجامعات وأهميته. استحضار هذا السياق في تقويم واقع المقرر وفي عملية التطوير المنشود له.
- ✓ نبذة عن تجربة جامعة قطر في تدريس مقرر الثقافة الإسلامية وأبرز التحولات في هذه التجربة ومناقشة هذه التحولات.
- ✓ معايير التطوير الفعال الذي ننشده وندعو إليه وكيفية توظيفها في تطوير مقرر الثقافة الإسلامية شكلاً ومضموناً ونهجاً تدريسياً.
- ✓ مستقبل مقرر الثقافة الإسلامية في جامعة قطر في ضوء المستجدات.

#### حول منهجية الورقة:

الأمر الذي سنتحرى الالتزام به في هذه الورقة هو أن تكون المقترحات التطويرية لمقرر الثقافة الإسلامية مبنية في ضوء فلسفة بناء له أسس منهجية وأركان فكرية وقواعد علمية وشواهد تطبيقية، مرتبطة بمجال الفاعلية في التعليم، وسنبذل الوسع - بعون الله - لأن تكون الأسس والأركان التي تبني عليها هذه المقترحات متينة وراسخة، ومستندة إلى معطيات الفكر الإداري والتربوي، ومعززة بتجربة ذاتية لها دلالات مهمة، ومتجاوزة لإشكالات تجارب أخرى غير فاعلة إن وزنت بمعايير الفاعلية التي ستكشف عنها الورقة والتي ستكون بمثابة "الميزان المنهجي" الذي سنقوم به الوضع الراهن لمقرر الثقافة الإسلامية بجامعة قطر، كما سنعيّر به المقترحات التطويرية التي سنطرحها في الورقة.

وبهذا "الميزان المنهجي" تتميز هذه الورقة عن جميع ما وقعنا عليه من دراسات<sup>(١)</sup> تتناول قضية تطوير مقرر الثقافة الإسلامية، ذلك أنها تتناول القضية من مدخل تعريف الثقافة الإسلامية، وهو مدخل فيه إشكال سنكشف عنه عند عرضنا لسياق مقرر الثقافة الإسلامية في الجامعات.

وإننا نعتقد أن ما سنطرحه في هذه الورقة من موجهات وأركان ومعايير للتطوير الفعّال يمكن الاستفادة منها وتوظيفها ليس في تطوير مقررات الثقافة الإسلامية فحسب وإنما في تطوير كل مقررات كليات الشريعة كذلك؛ بل وتطوير كل مقرر جامعي -مع مراعاة ما تقتضيه خصوصية كل مقرر- وذلك لأن هذه الموجهات والأركان والمعايير تدخل في دائرة السنن التي لا تتغير ولا تتبدل باعتبار أنها من سنن الفاعلية.

### حدود الورقة:

ترمي الورقة بالأساس إلى أن تقدم "خارطة طريق" و"دليل إرشادي عملي" للتطوير الفعّال، آمليين وراجين أن تتحقق مما نطرحه هنا الفائدة المرجوة وأن تُجسد في أرض الواقع تجسيداً يحقق التطوير الفعّال المنشود بعون الله.

ومن ثم؛ فإنه ليس من ضمن حدود الورقة تقديم مشروع متكامل ومفصل لتطوير فعال لمقرر الثقافة الإسلامية، ولا الدخول في تفاصيل المحتوى الذي ينبغي أن يتضمنه المقرر، ولا تفاصيل النهج التدريسي الذي ينبغي أن ينتهجه القائمون على تدريس

(١) انظر على سبيل المثال؛ الثقافة الإسلامية وحاجة الطالب الجامعي إليها: رؤية مستقبلية لمقررات الثقافة الإسلامية في جامعة طيبة، سلطان بن علي محمد شاهين، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثانية، العدد ٤، ٢٠١٤ هـ.

المقرر، فذلك عمل كبير ينبغي أن يقوم به فريق من المختصين في المجال، ويحتاج إلى عقد "ورش عمل" مطولة، وهذا ما استدعو إليه هذه الورقة التي تقدم نفسها بالأساس على أنها "ورقة عمل توجيهية" لأي مشروع تطويري للمقرر يرمي إلى الفاعلية، ولأي فريق عمل يطمح إلى تحقيق تلك المهمة الكبيرة بفاعلية.

### السياق التاريخي لمقرر الثقافة الإسلامية:

قبل الشروع في عرض السياق التاريخي لمقرر الثقافة الإسلامية، يجدر بنا أن نتعاطى مع السؤال الآتي:

### ما أهمية استحضار السياق التاريخي؟

من المهم بل من الضروري ونحن نسعى لتطوير مقرر الثقافة الإسلامية - بل أي مقرر - أن نستحضر السياق التاريخي لنشأة المقرر وتطوره وذلك للاعتبارات الخمسة الآتية:

- ✓ إدراك الظروف التاريخية والدوافع الأصلية لنشأة المقرر.
- ✓ إدراك مدى الحاجة للمقرر وخصوصيته.
- ✓ إدراك الصلة بين دوافع النشأة وطبيعة المقرر وأهدافه.
- ✓ مقارنة تحديات عصر النشأة مع التحديات المستجدة.
- ✓ استخلاص ما ينبغي مراعاته في عملية التطوير من تاريخ المقرر.

## إطالة على السياق التاريخي العام لنشأة المقرر<sup>(٢)</sup>:

من المهم أن نستحضر في هذا السياق أبرز النقاط المتعلقة بـ "حركة الثقافة الإسلامية" من خلال النقاط الموجزة الآتية وذلك لأهمية مراعاتها في مشروع تطوير المقرر:

- نشأت "الثقافة الإسلامية" أول ما نشأت استجابة للوحي؛ فرغم أن الثقافة الإسلامية كمصطلح يُعد حديثاً إلا أنه كحقيقة واقعية نشأ استجابة للوحي في عصر التنزيل.
- تراوحت "حركة الثقافة الإسلامية" في قرون مديدة بين الصدارة أو الغلبة والصمود أمام أي "غزو فكري أجنبي".
- وخلال هذا التاريخ الطويل، كان هناك تلازم بين الحالة الثقافية والتقدم الحضاري للأمم، فتقدم المسلمين في الثقافة الدينية كان متزامناً مع تقدمهم في العلم التجريبي.
- وقد كان للمؤسسات التربوية الأصيلة إسهامها البارز في تحقق الفاعلية والإنتاجية في الأمة.
- ثم دخلت الأمة - لأسباب لا يسع المقام لشرحها - في عصر الركود الحضاري والجمود على الماضي وفقدان المناعة والفاعلية.

(٢) اعتمدنا بالأساس في عرض السياق التاريخي على كتاب "الثقافة الإسلامية في الجامعات" لأستاذنا الكبير الدكتور عدنان زرزور لأنه يُعد - فيما نعلم حسب بحثنا في المصادر - أول دراسة توثق تاريخ مقرر الثقافة، ومؤلفه مخضرم عاصر المقرر منذ نشأته الأولى طالباً في الستينات من القرن الماضي، ثم أستاذاً للمقرر لعقود في عدد من الجامعات منها جامعة قطر، فلذا؛ أصبح الكتاب مرجعاً أساسياً في الدراسات التي ظهرت بعده والتي تناولت تاريخ المقرر (انظر، على سبيل المثال، الثقافة الإسلامية في الجامعات العربية، شافي بن سفر الهاجري (رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة أم درمان الإسلامية، ١٩٩٩م).



- ومن ثم أصيبت الأمة بحالة من "قابلية الاستعمار" والغزو الفكري والثقافي والاندحار الحضاري والانبهار والتقليد والتبعية الحائلة دون الإبداع الذاتي.
- وحينما نشأت المدارس والجامعات الحديثة - أول ما نشأت في ظل "الاستعمار" الأجنبي - كان يهيمن عليها الفكر الغربي وثقافته.
- ومن ثم حلت بالأمة حالة من الغربة عن الهوية الحضارية والثقافية وانحسار الإبداع الفكري والعلمي.

إن أهم ما ينبغي استحضاره من هذا العرض التاريخي المركز والموجز هو أن فكرة إقرار مقرر أو أكثر في مجال "الثقافة الإسلامية" بزغت أساساً في سياق التحدي المذكور: "الغربة عن الهوية الحضارية والثقافية وانحسار الإبداع الفكري والعلمي" كمادة ثقافية علاجية ووقائية مركزة ومقدمة لثقافة إحيائية شاملة. وليس بخاف عنا جميعاً أن هذا التحدي ازدادت حدته وخطورته في عصر العولمة وطغيان "ثقافة العولمة" أو بعبارة أخرى "عولمة الثقافة" عبر أدوات العولمة الفعالة المتعددة للجنسيات والعبارة للقارات والمتغلغلة في المجتمعات، في عالم يتسم بالفوضى وتموج فيه الأفكار والأيدولوجيات والشبهات والإشكاليات والتساؤلات والحروب والنزاعات والإرهاب الدولي في عصر هيمنة القطب الواحد. وهذا كله ينبغي استحضاره ونحن نسعى نحو تطوير فعال للمقرر.

### سياق مقرر الثقافة الإسلامية في الجامعات:

وإذا انتقلنا من سياق الثقافة الإسلامية العام وسياق التحدي المذكور إلى سياق مقرر الثقافة الإسلامية في الجامعات كنوع من الاستجابة المرحلية لذلك التحدي من

خلال تقديم جرعة ثقافية إسلامية علاجية لطلبة الجامعات، فإنه من الجدير بالذكر في هذا السياق -ابتداءً- أن أول تجربة في هذا الصدد كانت على يد الشيخ الأستاذ محمد المبارك رحمه الله عام ١٩٥٤م. فالإيه "يعود الفضل والسبق في ريادة هذا الميدان على مستوى الجامعات، من حيث تقدير أهميته وضرورته، من وجه. ومن حيث وضع المناهج الدراسية والتأليف فيه، من وجه آخر. وقد خلّف في ذلك كتاباً من ثلاثة أجزاء" بنفس العنوان الذي طرح فيه المقرر آنذاك "نظام الإسلام" في جامعة دمشق<sup>(٣)</sup>. "وقد برزت الحاجة إلى هذه التسمية - فيما يبدو - أمام شتات القرون المتأخرة، وضياح معالم الحياة والشخصية الإسلامية في عصر الركود الذي عاشه المسلمون... ولهذا فقد أطلقت التسمية بصيغة المفرد "نظام" لا بصيغة الجمع "أنظمة" إشارة إلى أن المقصود من هذه الدراسة ليس الأنظمة التاريخية المعروفة... مثل نظام الخلافة... أو الحسبة أو البريد، ولكن المقصود: نظام الحياة في الإسلام. أو بعبارة أخرى بيان ملامح هذه النظام، ووحدته وانسجامه... بحيث يمثل وحدة متكاملة في العقيدة والعبادة والأخلاق والاجتماع وفلسفة المال والحكم إذا تمثلها المرء وطوّع سلوكه وأعماله لمقتضياتها وأحكامها ظهرت ملامح شخصيته "المتميّزة" عن الذين يخضعون... لنظام حياة آخر"<sup>(٤)</sup>.

إن أهمية استحضار هذه التجربة في هذا السياق -بالإضافة إلى أهميتها التاريخية- تكمن تحديداً في التنويه على وجود أكثر من تسمية لمضمون المقرر الجامعي الذي نشأت الحاجة إليه في سياق التحدي الذي أشرنا إليه باعتباره "تحصيناً" ثقافياً هاماً وضرورياً لشباب الأمة وطلبة الجامعات على وجه الخصوص.

(٣) الثقافة الإسلامية في الجامعات، أ.د. عدنان زرزور، مصدر سابق، هامش ص ٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٩.

فبالإضافة إلى "نظام الإسلام" هناك جامعات تطلق على هذا المقرر الثقافي التحصيلي مسمى "الفكر الإسلامي" باعتبار "أن معالم الشخصية الإسلامية التي تبرز من خلال هذه الثقافة، أو تبرزها هذه الثقافة، أساسها ومنطلقها: العقيدة والفكر، بمعنى أن كل عناصرها وأبوابها مؤسسة على العقيدة وراجعة إليها. ولهذا فإن التركيز على هذه القاعدة الفكرية أو العقدية يبدو مفهوماً ومبرراً... بالإضافة إلى ما في هذه التسمية من وضع الدارس... أمام مسؤولياته العلمية أو الجامعية في إعمال الفكر والنظر، من خلال عرض حقائق العقيدة والفكر الإسلامي، وتركه من ثم يتمثلها ويتفاعل معها.

في حين أن "الثقافة الإسلامية" قد توحى لبعض القائمين بأمر تدريسها بشيء من أسلوب الحفظ والتلقين وتكرار بعض المعلومات السابقة أو المعروفة عن الإسلام"<sup>(٥)</sup>.

ولكن التسمية الأكثر شيوعاً والأوضح على ما يراد من هذا المقرر هو "الثقافة الإسلامية" وذلك - وكما يقول أستاذنا الدكتور عدنان زرزور - لسببين: "الأول: ما يتمتع به مصطلح "الثقافة" من مدلول واسع وعميق ومتشابه أو معقد يحمل في طياته خصائص الأمم والشعوب. الثاني: دلالاته السلوكية أو التطبيقية، بوصف الثقافة نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة"<sup>(٦)</sup>.

(٥) المصدر السابق، ص ١٦.

(٦) المصدر السابق، ص ١٠-١١.

ونحن نرى أهمية وضع كل دلالات هذه التسميات المختلفة للمقرر في الاعتبار ونحن بصدد تطوير المقرر، إذ أن هذا الاختلاف في التسمية له دلالة مهمة تتعلق بمعايير تحديد مضمون المقرر، وأهم معيار هو مدى الاستجابة للتحدي الذي ينبغي أن يتعاطى معه المقرر. فلذا؛ ينبغي أن تستحضر جميع هذه الاعتبارات في هذه التسميات المختلفة عند تحديد مضمون المقرر بغض النظر عن الاسم المختار.

وعليه: فإن من يحاول أن ينحت منهج المقرر بناءً على تعريف يختاره للثقافة الإسلامية أي يبنى المقرر بناءً على مفردات التعريف الذي اختاره فقد أبعده النجعة، ولا سيما أن تعريف الثقافة مشكل، ويختلف باختلاف الزاوية التي ينظر فيها إلى الموضوع - كما يقول الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله<sup>(٧)</sup>.

### توصيات مؤسسية بتدريس "الثقافة الإسلامية":

ومن الجدير بالذكر ونحن نستحضر السياق التاريخي لمقرر الثقافة الإسلامية كمقرر جامعي أن ننوّه إلى أنه قد صدرت توصيات مؤسسية دولية بتدريس "الثقافة الإسلامية" في الجامعات، كما صدرت التوصيات بتطوير مناهجها. من هذه التوصيات<sup>(٨)</sup>:

(٧) انظر؛ مقدمة كتابه مشكلة الثقافة (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م).

(٨) انظر؛ الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسمًا علمياً، د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي وآخرون (دراسة

تنظيرية وتعريفية موجزة أعدها مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض،

١٤١٧هـ) ص ٥٤-٥٥.

- توصية الإيسيسكو الواردة في الفقرة "هـ" من المادة الرابعة منه والتي نصت على: "جعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم في جميع مراحلها ومستوياته".
- وتوصية مجلس اتحاد الجامعات العربية في اجتماعه الذي عقد في جامعة قطر عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م والتي نصت على: "التوصية بأن تكون مادة الثقافة الإسلامية أساسية على مستوى الجامعات العربية كلها على اختلاف فروعها وأقسامها"؛ تأكيداً لقرار سابق للمجلس في الاجتماع الذي عقد في الجامعة الأردنية في نفس العام.
- وتوصية ندوة الثقافة الإسلامية التي انعقدت في ظل المؤتمر الرابع لرابطة الجامعات الإسلامية المنعقد بماليزيا، عام ١٤٠هـ/١٩٨٨م، والتي نصت على الآتي: "لابد من تضمين مقررات الثقافة الإسلامية في مناهج جامعات البلاد الإسلامية كلها، وبمختلف أقسام تلك الجامعات، وأن تشمل مختلف سنوات الدراسة الجامعية والدراسات العليا فيها، كما أنه لا بد من متابعة هذه الدراسات وتطويرها بما يقتضيه الواقع الإسلامي والعالمي".

كل هذه التوصيات المؤسسية تدل على الإحساس بأهمية مقرر الثقافة الإسلامية وكذلك أهمية تطوير المقرر على مستوى المؤسسات الدولية ذات الصلة. ومما يؤكد ذلك الإحساس بالأهمية هو أن تلك التوصيات المؤسسية الدولية لم تبق حبيسة الأدراج، وإنما توبعت باقتراحات وخطوات عملية، فقد شُكلت لجنة مشتركة لمقرر الثقافة الإسلامية في اجتماع مجلس اتحاد الجامعات العربية بجامعة قطر عام

١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، واجتمعت هذه اللجنة المشتركة بالرياض عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، وخلصت إلى المقترحات العملية الآتية:

- ✓ إنشاء أقسام جامعية خاصة بالثقافة الإسلامية.
- ✓ طرح أربعة مقررات جامعية للثقافة الإسلامية.
- ✓ اعتماد أسلوب التدريس بالحوار والنقاش والمقارنة والتحليل.
- ✓ ربط المقرر بواقع الأمة الإسلامية والواقع العالمي المعاصر.
- ✓ التركيز على المبادئ والكليات لا على التفاصيل والجزئيات.

إن هذه المقترحات يجدر أن نضعها في الاعتبار ونحن بصدد تطوير المقرر، بالأخص ما يتعلق منها بأسلوب التدريس، والربط بالواقع، والتركيز على المبادئ والكليات لا على التفاصيل والجزئيات. ولكن إلى أي مدى تحققت هذه المقترحات في أرض الواقع؟ هذا يقودنا إلى عرض تجربة كلية الشريعة بجامعة قطر في تحويل تلك التوصيات المؤسسية الدولية إلى واقع، وتقويم هذه التجربة التي هي محور تركيز هذه الورقة.

### تجربة جامعة قطر في تحويل التوصيات إلى واقع "عرض وتقويم":

أنشأت كلية الشريعة بجامعة قطر قسماً خاصاً بالدعوة والثقافة الإسلامية منذ تأسيس الكلية عام ١٩٧٧م، ومن أهم اختصاصات هذا القسم هو: تدريس "الثقافة الإسلامية" وتطويرها، الأمر الذي يدل على إدراك الكلية المبكر بأهمية الثقافة الإسلامية تدريجياً وتطويراً.

والقسم ارتأى- في البداية -اعتماد مقررين<sup>(٩)</sup>، وذلك لتحقيق هدفين رئيسين أصليين:

الهدف الأول: تشكيل "قناعة" عند الطالب بأولوية نظام الحياة في الإسلام، أو بأولوية الإسلام بوصفه عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

الهدف الثاني: تشكيل "مناعة" ضد ما يخالف هذا النظام أو يناقضه ويجاذه من الفلسفات والعقائد والنظم الأخرى.

أما تشكيل "القناعة" فهو هدف المقرر الأول للثقافة الإسلامية، والذي كان يدرسه الطالب بجامعة قطر في بداية دراسته الجامعية كمتطلب إجباري عام، وهذا الهدف هو الذي وجه مفردات المقرر، فلذا؛ عُني المقرر في الأصل ببيان فلسفة الإسلام الكلية، ومقوماته وخصائصه العامة. وأما تشكيل "المناعة" فهو هدف المقرر الثاني للثقافة الإسلامية، والذي كان يدرسه الطالب قبيل تخرجه من الجامعة كمتطلب إجباري عام، وهذا الهدف هو الذي وجه مفردات المقرر الثاني، ولذا؛ عُني المقرر في الأصل باستعراض "أبرز المبادئ والعقائد والنظم التي شكلت تحدياً للثقافة الإسلامية، أو انطوت على تناقض مع أحكامها ومسلماها، أو تلك التي حاول أصحابها تشويه الثقافة الإسلامية، أو تفسيرها على نحو لا يتصف بالحيدة أو الموضوعية"، كما جاء في مقدمة كتاب "عقائد وتيارات فكرية معاصرة"<sup>(١٠)</sup> الذي ألفتته مجموعة من أساتذة

(٩) وليس أربعة مقررات كما أوصت اللجنة المشتركة بمجلس اتحاد الجامعات العربية الذي أشرنا إليه في التوصيات التي عرضناها آنفاً.

(١٠) عقائد وتيارات فكرية معاصرة، أ.د. محمد شامة وآخرون (الدوحة: دار قطري بن الفحاء)، ص ٦.

كلية الشريعة بجامعة قطر، وهو الكتاب الذي كان معتمداً لمقرر الثقافة الإسلامية الثاني.

### أبرز التحولات في تجربة جامعة قطر في "الثقافة الإسلامية":

مرت تجربة جامعة قطر في مقرر "الثقافة الإسلامية" بتحويلات كبرى من المهم أن نستحضر أبرزها في هذا السياق لما لها من آثار ينبغي التعاطي معها ونحن نسعى للتطوير الفعال.

### أولاً: التحول من اعتماد مقررين إلى دمجهما في مقرر واحد:

أول التحولات هو التحول من اعتماد مقررين إلى دمجهما في مقرر واحد، الأمر الذي أدى إلى إرباك كبير على مستوى الهدف من المقرر وعلى مستوى المنهج والمفردات كذلك، حيث إنه اقتضى ضغط محتوى المقررين بهما المستقلين في مقرر واحد، فأصبح محتوى المقرر مكثفاً وثقيلاً جداً ولا ينتظم مواضيعه خيطاً ناظماً واضحاً.

### ثانياً: التحولات المتعلقة بأهداف المقرر:

تغيرت أهداف مقرر الثقافة الإسلامية المدمج في عدة مراحل. ففي المرحلة التي قرر فيها الدمج حدد للمقرر الهدف الآتي: "تأسيس مفاهيم الثقافة الإسلامية لدى الطلاب، بحيث تصبح في مجمل عناصرها إيماناً يعمر النفوس، وسلوكاً تجري به الجوارح في كل تصرفات الحياة، ويتم من ذلك ميزان واع يزن به الطالب كل ما يرد



عليه من فكر، وما يتعرض له من مواقف، وما يدور حوله من أحداث، فينتهي من ذلك إلى توجيه فكره وسلوكه الوجهة التي تستهدفها تعاليم الدين الحنيف<sup>(١١)</sup>.

وفي مرحلة لاحقة وضعت للمقرر المدمج ثلاثة أهداف هي<sup>(١٢)</sup>:

١. تعريف الطالب بأسس الثقافة الإسلامية ومظاهرها.
  ٢. تعريف الطالب ببعض النظم الإسلامية ذات الصلة بالثقافة.
  ٣. إيقاف الطالب على اتجاهات فكرية ودينية معاصرة وبيان موقف الإسلام منها.
- ثم تضاعفت أهداف المقرر المدمج في مرحلة أخرى، فأصبحت سبعة أهداف هي<sup>(١٣)</sup>:

١. التعريف بالثقافة الإسلامية وتميزها وتحديد مفهوم الثقافة الإسلامية والقيم الإنسانية.
٢. بيان التفاعل بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى.
٣. إبراز النظرة الشمولية للإسلام، بوصفه كلاً مترابطاً أساسه التوحيد، والتخلص من النظرة الجزئية للإسلام التي تقصره على بعض جوانب الحياة.

---

(١١) ورد هذا الهدف في مقدمة كتاب "الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة" الذي اعتمد في مرحلة دمج مقرري الثقافة الإسلامية في مقرر واحد، والذي اشترك في تأليفه مجموعة من أساتذة قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة قطر، وعلى رأسهم رئيس القسم آنذاك أ.د. حسن عيسى عبد الظاهر رحمه الله، والذي صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(١٢) وذلك كما جاء في توصيف المقرر في تلك المرحلة (لم يتمكن الباحث من معرفة تاريخ بدء هذه المرحلة حيث إن التوصيف بلا تاريخ).

(١٣) وذلك كما جاء في توصيف المقرر في تلك المرحلة: (لم يتمكن الباحث من معرفة تاريخ بدء هذه المرحلة حيث إن التوصيف بلا تاريخ).

- ٤ . تعميق انتماء المسلم إلى الإسلام، وربطه بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله (ﷺ)،  
وتبصيره بما في هذين المصدرين الرئيسيين من أصول القيم الحضارية ومقوماتها  
وأسس النظم لجوانب حياته، والمنهجية السديدة لحركته الفكرية.
- ٥ . تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر، وبخاصة في مجالات العلوم المختلفة،  
وحركة الفكر، ونظم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، ونقدها  
من المنظور الإسلامي، ورد مفترياتها على الإسلام.
- ٦ . بيان تفوق الإسلام وسموه على المذاهب الإنسانية والأديان الوضعية في كافة  
شؤون الحياة، وإظهار قدرته على تحقيق السعادة الإنسانية في مقابل إخفاق تلك  
المذاهب والأديان.
- ٧ . تشخيص حال الأمة الإسلامية في مجالي الفكر والسلوك، والحركة الحضارية،  
وبيان مواطن الخلل فيها ومنهج علاجها، والسبيل إلى إقامته وفق المنهج  
الإسلامي القويم.
- ثم خفضت الأهداف السبعة إلى خمسة<sup>(١٤)</sup>، فأصبح المقرر يهدف إلى مساعدة  
الطالب على:

- ١ . صياغة شخصيته وفق منظومة المعارف القيمة الإسلامية.
- ٢ . تعميق الاعتزاز بالهوية العربية الإسلامية.
- ٣ . تشكيل نظرته الكلية في تعامله مع الوجود بصورة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- ٤ . بناء علاقات ثقافية سليمة مع الآخر.
- ٥ . معرفة التحديات الثقافية المعاصرة وسبل التعامل معها.

(١٤) وذلك كما جاء في توصيف المقرر في فصل ربيع ٢٠١١م.

وفي مرحلة قريبة حددت للمقرر ستة أهداف<sup>(١٥)</sup> وهي:

١. تعميق الاعتزاز بالهوية العربية الإسلامية لدى طلاب الجامعة.
٢. تشكيل النظرة الكلية للثقافة الإسلامية ومعرفة طبيعة العلاقة بينها وبين الثقافات الأخرى.
٣. توعية الطالب بالأهداف والمقاصد العليا للإسلام.
٤. إلمام الطالب بحاضر العالم الإسلامي وقضاياها، وفهم المتغيرات الفكرية الحاصلة فيه.
٥. ربط الطالب بالواقع المعاصر وبما يطرحه من قضايا.
٦. تنمية المهارات التعليمية الأساسية للتفوق في الدراسة وفي الحياة المهنية فيما بعد الجامعة.

**ملاحظات عامة حول أهداف مقرر الثقافة الإسلامية عبر مراحل التحول:**

بالنظر في أهداف المقرر عبر مراحل التحول المتعددة - والذي يشير إلى مدى الإرباك الحاصل على مستوى الأهداف - يمكن أن نلاحظ الملاحظات الاستشكالية العامة التالية:

➤ طغيان الصياغة العمومية والإنشائية والتجريدية لأهداف المقرر.

➤ التركيز على الجانب التحصيلي المعلوماتي الكمي.

(١٥) وذلك كما جاء في توصيف المقرر في فصل خريف ٢٠١٥م.

- الخلط بين الأهداف الكلية والأهداف الجزئية، وعدم التفريق بين الأهداف الأساسية والأهداف التبعية.
- عدم تعيير الأهداف بمعايير جودة الأهداف، والتي سنتناولها في هذه الورقة حينما نتعاطى مع معايير الفاعلية.

### ثالثاً: التحولات المتعلقة بالمنهج والمفردات:

بالإضافة إلى الأهداف، شهد مقرر الثقافة الإسلامية بجامعة قطر عدة تحولات تتعلق بالمنهج والمفردات كذلك. فمن اعتماد كتاب أو كتب بتأليف انفرادي إلى اعتماد كتاب بتأليف مجموعة من الأساتذة الموكل إليهم تدريس الثقافة الإسلامية بدلاً عن الكتاب المفرد، ثم إلى اعتماد ملزمة مجمعة من مصادر مختلفة بدلاً عن الكتاب المشترك.

هذا التحول الأخير زاد على الإرباك الناجم عن دمج مقرري الثقافة إرباكاً آخر يتعلق بالجوانب المنهجية والعلمية والمضامينية والتوثيقية والتحريرية والتنسيقية. وليس من غرض هذه الورقة الخوض في تفصيل هذا الإرباك. ولكن مع ذكره يجدر بنا التنويه هنا إلى أننا لا ندعو في مشروع تطوير المقرر إلى العودة إلى اعتماد كتاب مشترك أو إقرار كتاب مؤلف مستقل وإلزام جميع أساتذة المقرر به، لأسباب سنوضحها لكن بعد أن نتمم الحديث عن التحولات الأخرى التي حصلت في تدريس المقرر بكلية الشريعة بجامعة قطر والمتعلقة بسياسات التقويم.

#### رابعاً: التحولات المتعلقة بسياسات التقويم:

شهدت سياسات التقويم في مقرر الثقافة الإسلامية تحولات أيضاً. فمن استقلالية الأستاذ في التقويم، إلى إلزام جميع أساتذة المقرر بامتحان نهائي موحد أي لا يضعه كل أستاذ على حدة وإنما تضعه لجنة مختارة من الأساتذة بناء على موضوعات الكتاب أو الملزمة المعتمدة لمقرر الثقافة، مع تحديد إجابات "نموذجية" من الكتاب أو الملزمة، وذلك بزعم ضمان المساواة بين طلبة جميع مجموعات الثقافة الإسلامية، وضمن قياس مخرجات التعلم بمقياس واحد!

هذا التحول في سياسة التقويم سبب العديد من الإشكالات وزاد من الإرباك في المقرر؛ ذلك لأن من لوازم الامتحان الموحد أنه لا يقيس بالأساس إلا الجانب المعرفي لدى الطالب ومدى تذكره للمعلومات بالكتاب أو بالملزمة، وهذا ليس في الأسئلة الموضوعية فحسب، بل حتى في الأسئلة المصاغة بصياغة تبدو في الظاهر أنها تقيس مهارات التفكير العليا من المقارنة والتحليل والاستنباط، وذلك لأنه وببساطة يطلب من الطالب أن يجيب عليها بما درسه في الكتاب أو الملزمة، ولاسيما أن تصحيح أوراق الامتحان يكون وفقاً للإجابات "النموذجية".

ومما زاد من حدة هذه الإشكالات وزاد الإرباك إرباكاً هو التحول من الإلزام بامتحان موحد واحد إلى الإلزام بامتحانين موحدتين نصفين ونهائي، بل والإلزام بسياسة وأدوات تقويم موحدة مفصلة تفصيلاً دقيقاً.

## ملاحظات عامة على التحولات في مقرر الثقافة الإسلامية بجامعة قطر:

في حقيقة الأمر أن هذه التحولات فيها من القيود والتنميط ما يكاد يلغي دور الأستاذ الفاعل بالكامل، ويلغي الفوارق النوعية بين الأساتذة، ويقتل فيهم الإبداع، فضلاً عن أن ذلك يتعارض تماماً مع الحرية الأكاديمية للأستاذ الجامعي، كما يتعارض تماماً مع فلسفة التدريس الجامعي الذي يركز بالأساس على الحرية الأكاديمية والاستقلالية واللامركزية ثم تحمل المسؤولية.

ومن الملفت للنظر حقاً أن جُل هذه التحولات - لاسيما الأخيرة منها - بما فيها من قيود وتنميط، تزامنت مع "مشروع ٢٠٠٣م لتطوير جامعة قطر" المتضمن لثلاثة مبادئ كبرى موجهة وهي: الاستقلالية واللامركزية وتحمل المسؤولية! وهذه المبادئ بنيت عليها خطة استراتيجية أولى وثانية للجامعة!

وهذا يقودنا إلى النقطة الآتية والتي هي من أهم النقاط في هذه الورقة، وهي أنه على غرار المقولة المشهورة لرابعة العدوية رحمها الله "استغفارنا يحتاج إلى استغفار"، فكذلك نقول: "تطويرنا يحتاج إلى تطوير"، ذلك أنه يفتقر إلى الروح، يفتقر إلى جوهر التطور، يفتقر إلى الفاعلية - كما ذكرنا في الاستهلال. فما معايير الفاعلية التي يمكن أن نقيس بها مدى تحقق الفاعلية في أي مشروع تطويري؟

### معادلة معايير الفاعلية:

إن أنسب طريقة للتعبير عن معايير الفاعلية هو - في تقديرنا - أن نضعها في صيغة معادلة تتداخل وتتفاعل فيها أربعة عناصر أساسية: تحقيق أهداف نوعية بجودة عالية وبطرق إبداعية وباستثمار رشيد للموارد.

وستتناول هذه العناصر والعلاقات فيما بينها - بعون الله - في العناوين الفرعية الآتية، مع تنزيلها على مقترح تطوير مقرر الثقافة الإسلامية.

### تحديد أهداف نوعية أساس التطوير الفعّال:

أساس التطوير الفعّال لمقرر الثقافة الإسلامية بل كل مقرر جامعي ينبغي أن يكون نوعية الأهداف وجودتها وسموها. وأهمية هذا المعيار ترتكز على فكرة مبدئية مفادها أن الحكم على مدى فاعلية أي مشروع تطويري يقوم بالأساس على مدى نوعية أهداف التطوير المنشود وجودتها وسموها بالمقارنة مع حجم الموارد المبذولة ونوعيتها، وهو - أي حجم الموارد ونوعيتها - معيار آخر من معايير الفاعلية الذي لا ينبغي أن ينفك عن المعيار الأول. فإن كانت الأهداف بسيطة والموارد المبذولة كبيرة، فهذا يتنافى مع الفاعلية لما فيه من هدر للموارد، حيث إن الأهداف البسيطة يمكن أن تحقق بموارد بسيطة، ولا مسوغ البتة لبذل موارد كبيرة من أجل تحقيق أهداف بسيطة. فعلى سبيل المثال إن مجرد هدف التحصيل العلمي البسيط المتمثل في نقل العلوم والمهارات من جيل لآخر لا يسوّغ بحد ذاته قيام مؤسسة تعليمية معقدة ومكلفة جداً - كالجامة - وذلك لأن مثل هذا الهدف المحدود يمكن تحقيقه في مراكز تعليمية متواضعة في تعقيدها وإمكاناتها وتكلفتها<sup>(١٦)</sup>. وعليه؛ كلما كانت الموارد المبذولة أكبر فإن الأهداف ينبغي أن تكون أسمى.

(١٦) انظر؛ إدارة المدرسة القطرية من التسيير إلى التطوير، د. إسماعيل المصلح (دراسة قدمت للمؤتمر الأول

حول "الإدارة التربوية والمتطلبات المستقبلية"، كلية التربية، جامعة الكويت، ١٩٩٩م)، ص ٤.

## فما معايير قياس سمو الأهداف ونوعيتها وجودتها بالنسبة للمقررات الدراسية؟

إن سمو أهداف المقررات الدراسية ونوعيتها وجودتها ينبغي أن تقاس بمعايير محددة. ويمكننا هنا - في ضوء اطلاعنا على مصادر عديدة ذات صلة بكيفية وضع الأهداف بالعموم والأهداف التعليمية بالخصوص وخبرتنا العملية في وضع الأهداف - أن نحدد مجموعة من أهم المعايير التي ينبغي أن تقاس بها أهداف المقررات الدراسية، وذلك في النقاط الآتية:

✓ مدى تجسيد الغايات الكبرى للتربية المستمرة.

✓ مدى الاستجابة للتحدي.

✓ مدى التمركز حول الطالب.

✓ مدى التوافق مع القيم.

✓ مدى التحديد والوضوح والتسديد.

✓ مدى الصلة بالمجال.

✓ مدى القابلية للقياس.

✓ مدى التوافق والقبول.

✓ مدى قابلية التحقق.

✓ مدى مراعاة البعد الزمني.

✓ مدى إمكانية التمثيل الإجرائي.



ولسنا هنا نزعم أن هذه المعايير نهائية أو محل إجماع بين المتخصصين في المجال التربوي، أو أنها جميعاً تصلح لقياس نوعية أهداف أي مقرر دراسي، ولكننا نرمي بهذا التحديد إلى التنويه على أن هناك معايير يقاس بها مدى نوعية الأهداف وسموها وجودتها، وأن إغفال ذلك قد يؤدي إلى تحديد أهداف لا ترقى إلى أن تتسم بالتنوع والسمو والجودة، والتي هي أول عناصر معادلة فاعلية التطوير كما أسلفنا.

وتأسيساً على ذلك نقول إن اعتماد هذه المعايير أو بعضها لقياس نوعية أهداف المقررات الدراسية يعتمد بالأساس على طبيعة كل مقرر وخصوصيته وتاريخه، كما يعتمد على طبيعة المؤسسة التعليمية وخصوصيتها وتاريخها. ولذا؛ فإن تنزيل هذه المعايير أو بعضها على أهداف مقرر الثقافة الإسلامية يحتاج - في تقديرنا - إلى ورشة عمل متخصصة مع المعنيين بتطوير المقرر في أي جامعة. لكن يجدر بنا هنا أن نؤكد على أهمية مراعاة معيارين من هذه المعايير ونحن نسعى إلى تحديد أهداف نوعية لمقرر الثقافة الإسلامية في جامعة قطر، وذلك في ضوء ما أوردناه في السياق التاريخي للمقرر، وهذان المعياران هما: مدى التمحور حول الطالب، ومدى الاستجابة للتحدي. وذلك يقودنا إلى التعاطي مع السؤالين الآتيين تبعاً:

ما جوانب التحدي الذي ينبغي أن يتعاطى معها مقرر الثقافة الإسلامية؟ وما المقصود بمعيار تمحور الأهداف حول الطالب؟

**ما جوانب التحدي الذي ينبغي أن يتعاطى معها مقرر الثقافة الإسلامية؟**

إن جوانب التحدي التي ينبغي أن يتعاطى معها المقرر يمكن أن نوجزها في النقاط الآتية:

- اختلال الخارطة الذهنية الكلية للإسلام.
- الغربة عن الهوية الحضارية والثقافية للأمة.
- الجمود والتسطيح الفكري والضعف التكويني.
- فقدان الدور الرسالي القيمي في الحياة.
- انحسار الفاعلية والإبداع الذاتي.
- ضعف الحصانة ضد "الجراثيم الثقافية" و"الأفكار المعدية".
- تفشي الأمراض والعلل الثقافية والفكرية.

فأول جوانب التحدي التي ينبغي أن يتعاطى معها المقرر في تقديرنا هو: اختلال الخارطة الذهنية الكلية للإسلام. فالمشكلة الثقافية لدى طلابنا لا تكمن في قلة المعلومات عن الإسلام، إذا وضعنا في الاعتبار كثافة مناهج التربية الإسلامية في المدارس ولاسيما في بلد مثل دولة قطر، وكثافة الخطب والدروس الدينية في المجتمع، وكثافة المعلومات الإسلامية المتداولة عبر وسائل التواصل.

في كتابه "ميليشيا الإلحاد" الذي يتحدث عن ظاهرة الإلحاد الجديد، وبالتحديد في سياق الحديث عن تأثر مجموعات من الشباب السعودي بهذه الظاهرة، يقول الباحث السعودي الأستاذ عبد الله العجيري: "الانفتاح المعرفي الهائل، الذي يحقق دوراً تثقيفياً حقيقياً إلى حد ما، كما يخلق حالة من وهم الثقافة أيضاً، فكثير من الشرائح الشبابية بات يتلقى معرفة أفقية سطحية في ملفات متعددة، ويحصل عن

طريق مواقع التواصل الاجتماعي جرعات معلوماتية مخففة ومبعثرة، تخلق مع الوقت حالة من الانتفاخ المعرفي الخاوي..."<sup>(١٧)</sup>

إن حقيقة المشكلة - في تقديرنا - هي الخلل في التصور الكلي الشمولي للإسلام باعتباره نظاماً شاملاً، بما تدل عليه كلمة نظام من تركيب وترتيب وتنسيق وتوازن وتكامل، الخلل في تصور كليات الإسلام التي سماها القرآن "المحكمات" ووصفها بأنها "أم الكتاب"، الخلل الناجم عن الخلط بين هذه الكليات هذه الأمهات هذه المحكمات وبين الجزئيات والمتشابهات، وعدم القدرة على رد الجزئيات إلى الكليات أو رد المتشابهات إلى المحكمات، الأمر الذي أدى إلى الخطأ والخلل والاضطراب والتشوش في فهم فلسفة الإسلام ومقاصده ونصوصه وأحكامه، وفي ترتيب أصوله وقواعده ومبادئه وفروعه.

فمقرر الثقافة ينبغي أن يتعاطى - أول ما يتعاطى - مع هذا الجانب من التحدي. كما ينبغي أن يتعاطى المقرر مع الجوانب الأخرى من التحدي التي ذكرت آنفاً، والذي أشرنا إلى أكثرها في عرضنا للسياق التاريخي للمقرر. ولكننا أضفنا هنا

### ما المقصود بمعيار تمحور الأهداف حول الطالب؟

عُرِّت الأهداف المتمحورة حول الطالب في بعض الأدبيات ذات الصلة كالاتي:  
"الأهداف المتمحورة حول الطالب تفصح عما يقوم به شخص ما في المهنة نتيجة لكونه ممتهاً تلك المهنة"<sup>(١٨)</sup>.

(١٧) ميليشيا الإلحاد، عبد الله بن صالح العجيري (لندن: تكوين، ٢٠١٤م)، ص ١٠١.

(18) Designing Effective and Innovative Courses (NAGT, 2010:  
<http://serc.carleton.edu/NAGTWorkshops/coursedesign2010/index.html>)

ففي ضوء ذلك؛ إن أردنا أن نحكم على مدى كون أهداف مقرر الثقافة الإسلامية متمحورة حول الطالب فينبغي أن يكون المعيار هو مدى إتاحة الفرصة للطالب لأن " يغوص " هو في بحر الثقافة الإسلامية وكأنه ممتهن لمهنة " الغوص " في ذلك البحر الزاخر.

ويجدر بنا هنا أن ننوه وبقوة إلى أننا بدعوتنا إلى أهمية اعتماد معيار تمحور الأهداف حول الطالب لا نقر ألْبتة الغلو في النزعة إلى مركزية الطالب في العملية التعليمية والذي من شأنه أن يؤدي إلى غرور الطالب وطغيانه حتى على أستاذه من ناحية، وحصر وظيفة الأستاذ في حدود الإشراف والمتابعة من ناحية أخرى. كما أننا بدعوتنا هذه لا نتوقع أن يصبح الطالب بمجرد دراسته لمقرر الثقافة الإسلامية " غوصاً " محترفاً في بحر الثقافة الإسلامية، فذلك لا يتوقع تحقيقه بدراسة مقرر واحد، كما سنوضح حينما نتعاطى مع السؤال عن كيفية تجسيد الأهداف النوعية في منهج ذي جودة عالية.

### أهداف مقترحة لمقرر الثقافة الإسلامية:

- في ضوء جوانب التحدي ومعايير جودة الأهداف السالفة الذكر، نقترح هنا أهدافاً لمقرر الثقافة الإسلامية تتعاطى مع التحدي بجميع جوانبه وتمحور حول الطالب:
- تمكين الطالب من رسم خارطة ذهنية تركيبية واضحة لنظام الإسلام الشامل وفلسفته ومنظومة قيمه الكبرى ومقاصده الكلية.
  - تمكين الطالب من تحليل أركان وخصائص الهوية الحضارية والثقافية الأصيلة للأمة المسلمة.

- تمكين الطالب من استكشاف كلي للتراث والتاريخ والإنجاز الإسلامي الحضاري.
- تمكين الطالب من تطوير دور ثقافي رسالي له في العصر على ضوء وعيه بالقيم والمقاصد الكلية للإسلام ووعيه بالعصر.
- تمكين الطالب من التحصّن بأدوات فعّالة ضد الأمراض والعلل والجراثيم الثقافية والفكرية السائدة وتقوية مناعته الذاتية.

### الجودة في تحقيق الأهداف النوعية:

والآن وبعد وضع الأهداف النوعية في ضوء معايير جودة الأهداف، يأتي العنصر الثاني في معادلة معايير الفاعلية، ألا وهو الجودة في تحقيق الأهداف. وللجودة قصة ذات دلالات مهمة في سياق الحديث عن التطوير، أوردها الخبير الاستراتيجي الأمريكي ستيفن كوفي في كتابه (البديل الثالث) "The 3r Alternative"<sup>(١٩)</sup>.

وخلاصة هذه القصة أنه في الأربعينيات من القرن الماضي حاول أستاذ الإدارة الأمريكي دمينج أن يقنع الصناع في أمريكا أن يحسّنوا جودة منتوجاتهم لكنهم رفضوا لحرصهم على الأرباح السريعة، ولم يأخذوا بفكرته القائمة على تحسين الجودة بمعالجة عيوب التصنيع، لأن عيوب التصنيع تقلل من ثقة الزبائن في المصنوعات وبالتالي ينفرون منها، وعليه؛ فهدف التصنيع ينبغي أن يكون التقليل المستمر من مقدار عيوب التصنيع.

---

(19) The 3r Alternative, Steven Covey, (New York: Free Press, 2011).

ولكن حينما لم يستجيبوا له ذهب دمينج إلى اليابان وعرض فكرته على رجال الصناعة اليابانيين، فقبلوها بعد أن دمجوا معها فلسفة "الكان بان" اليابانية التي تجعل التحكم والمراقبة على التصنيع بيد العمال في المصنع. فتطور مفهوم "إدارة الجودة الشاملة"، والذي يهدف إلى الرفع المستمر لمستوى الجودة مع الاستمرار في التقليل من التكلفة.

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن سر نجاح اليابانيين وتفوقهم في الصناعات ولاسيما في ستينات وسبعينات القرن الماضي هو تبنيهم مبدأ الجودة، وذلك من خلال تقديم منتجات وخدمات ذات جودة وبأسعار أقل من منافسيهم، ومن هنا يرتبط هذا المبدأ بعنصر آخر من عناصر معادلة معيار الفاعلية ألا وهو الاستثمار الرشيد للموارد، وبعد هذا النجاح في مجال الصناعة، وُظف مبدأ الجودة في مجال التعليم<sup>(٢٠)</sup>.

الباحث الأمريكي ويليام جلاسر وظف أفكار الباحث دمينج وابتكر مفهوم مدرسة الجودة عام ١٩٩٠م. يذهب جلاسر في كتابه "The Quality School: Managing Students Without Coeresion" (مدرسة الجودة: إدارة الطلاب من غير إرغام) إلى أنه "إذا قبلنا بأن غرض أي مؤسسة هو صناعة منتج ذي جودة أو تقديم خدمة ذات جودة، فعلياً أن نقبل بأن العاملين في المؤسسة يجب أن يعملوا بجودة وأن وظيفة مديري المؤسسة هو التأكد من تحقق ذلك، وفي [المؤسسة

(٢٠) انظر؛ من أجل تميز التربية القطرية: إعادة هندسة للتفكير الإداري المهيمن، د. إسماعيل المصلح (دراسة

قدمت لمؤتمر "الجودة: الكفاءة والإتقان والتميز" الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، الكويت،

٢٠٠٢، ص١٨-١٩.

التعليمية<sup>(٢١)</sup> الطلاب هم العاملون... والمدرسون هم الذين يديرون الطلاب، والإداريون هم من يدير المدرسين وبعض الطلاب<sup>(٢٢)</sup>.

الفكرة الرئيسة والقوية في هذا الكتاب المهم لموضوعنا هو الحقيقة الجريئة والمبنية على نتائج دراسات ميدانية والقائلة بأن العاملين - أي الطلاب في المؤسسة التعليمية - "لن يعملوا مجد إلا حينما يعتقدون أن هناك جودة فيما يطلب منهم... لكن معظم الطلاب لا يرون جودة في الأعمال التي تطلب منهم في الحصة الأكاديمية"<sup>(٢٣)</sup>، و"إننا نحقق في إدراك أن الطريقة التي ندير بها تتجاهل حقيقة أن القليل من الناس - والطلاب ليسوا استثناء - لن يبذلوا الجهد المطلوب للقيام بعمل ذي جودة إلا إذا اعتقدوا أن هناك جودة فيما يطلب منهم عمله"<sup>(٢٤)</sup>.

وهناك حقائق أخرى في هذا الكتاب تؤكد أهمية تبني مبدأ الجودة في التعليم، ومن المهم أن نستحضرها في سياق سعينا للتطوير الفعال، نشير هنا إلى بعضها باختصار: "إن نظمنا التقليدية في إدارة الطلبة تبعث رسالة واضحة لجميع الطلبة تقريباً مفادها أن العمل متدني الجودة مقبول"<sup>(٢٥)</sup>.

---

(٢١) استبدلنا كلمة "مدرسة" بـ "مؤسسة تعليمية" في اقتباساتنا من كتاب جلاسر؛ لتشمل الجامعة من باب أولى.

(22) The Quality School: Managing Students Without Coercion , William Glasser (New York: HarperCollins Publishers, Inc., 1998) p.2.

(٢٣) المصدر السابق، ص ٩٢.

(٢٤) المصدر السابق، ص ٦.

(٢٥) المصدر السابق، ص ٥.

ولكن "متى ما أصبحت الجودة جزءاً من الحصص الدراسية، فإن الطلبة سيفتخرون"<sup>(٢٦)</sup> بما يفعلون"<sup>(٢٧)</sup>.

إننا نوافق ويليام جلاسر تماماً بأنه "ما لم يضع عدد أكبر من الطلبة حالياً عمل المؤسسة التعليمية في عالم الجودة فلن نستطيع حل كثير من المشاكل التي تواجهنا"<sup>(٢٨)</sup>، وهذا في الحقيقة أحد التحديات الكبرى في التعليم. وللتعاطي مع هذا التحدي ينبغي بالأساس أن نجسّد الأهداف النوعية في منهج يتصف بالجودة العالية. فكيف نحقق ذلك؟

### كيف تُجسد الأهداف الكلية النوعية في منهج ذي جودة عالية؟

بما أن الملزمة التجميعية لا يمكن أن تجسد الأهداف الكلية النوعية بالجودة المطلوبة، بل وليس هناك كتاب واحد يتعاطى مع جوانب التحدي التي تواجه طالب الثقافة الإسلامية، بالإضافة إلى ما في إقرار كتاب محدد - أياً كان - للمقرر من إشكاليات؛ فإننا نقترح بديلاً عن ذلك كله وضع دليل نوعي متجدد يتسم بالجودة والمرونة يعده فريق من أساتذة الثقافة الإسلامية على ضوء الأهداف الكلية النوعية

(٢٦) ويصدق ذلك ما عبر عنه الطبة أنفسهم خلال تجربتي بجامعة قطر في فصل خريف ٢٠٠٨م أثناء تدريسي لمقرر الثقافة الإسلامية بنهج حاولت فيه أن أحرر من القيود الملزمة. وهذا شاهد على ما أقول بقلم طالبة: "إن الإنسان لتمر به التجارب المختلفة في جميع مراحل حياته، وليس يبقى ذكر إلا لفريدها، وإن الرحلة التي خضتها مع الطالبات في هذا المقرر لفريدة .. وفريدة جداً...". وهذا شاهد آخر: "إنني ما ذكرت حال مقرنا الفريد لواحدة من صديقاتي على انفراد أو في جمع إلا ثارت بادئ الأمر حوله إشارات التعجب والمساءلة.. وعلت الأصوات تدعو لنا بالتأييد من الله على صعوبة ما نواجه!.. إلا أنني إذ أوضح لهن الصورة وأجلي عنها غبار نفوس المجتمع النائم على وسائل المؤلف، الرافض تماماً أن يستفيق ليرى ألوانا جديدة في صور حياته.. إنني إذا وضحت لهن.. أراهن هدأن وقعن أننا طالبات الدكتور المصلح سعاة الفائدة والإفادة بغض النظر عن الشكليات التنظيمية التي تؤطرنا...".

(27) The Quality School, p.106.

(٢٨) المصدر السابق، ص ١٠٥.



التي تستجيب للتحديات والتي عرضناها آنفاً. هذا الدليل ينبغي أن يبقى قابلاً للتعديل والإغناء والإثراء باستمرار من قبل أساتذة الثقافة الإسلامية حتى أثناء تدريس المقرر. ويقترح أن يشتمل الدليل على: عناوين الموضوعات العامة المناسبة لتحقيق كل هدف من الأهداف الكلية النوعية للمقرر مرتبة ترتيباً متسلسلاً منطقياً. وسلسلة المحاور التفصيلية، ومجموعة المفاهيم المفتاحية على أن تحرر خلال المقرر تحريراً يزيل أي لبس وإرباك مفاهيمي، ومقدمة تعريفية موجزة ومركزة عن كل موضوع تتضمن أبرز الأسئلة الإشكالية المتعلقة بكل موضوع والمتسقة مع الأهداف، وسلة مقترحة من الأنشطة المختلفة التي تغطي كل موضوع بمحاورة تفصيلية وتتعاظم مع الأسئلة الاستشكالية ذات الصلة وتحفز الطلاب للمشاركة التفاعلية الفعالة في عملية التعلم، منها: المحاضرات الاستهلالية التحفيزية التي تسلط الضوء على موضوعات المقرر وما يتعلق بها من أسئلة استشكالية، والحوارات الصفية التحليلية الإثرائية المباشرة، والأنشطة الصفية واللاصفية المقترحة التي ينبغي أن يتمرس عليها الطلاب ليتمكنوا من تحقيق الأهداف بفاعلية، ونماذج مجسدة لبعض الأفكار المركبة، وقائمة إرشادية تتضمن مجموعة مقترحة من أهم المراجع النوعية والكتب الريادية التي تتناول كل موضوع من الموضوعات المختارة تناوياً عميقاً، على أن تبقى قائمة المراجع مفتوحة، بحيث لا يرتبط الطلبة بمصدر واحد أياً كان، ولا حتى مجموعة محدودة من المصادر.

إن الدليل يقوم بدور البوصلة والخارطة التي يسترشد بها الطلاب في رحلة "غوصهم" في بحر الثقافة الإسلامية، سواء خلال المقرر أو طوال سنوات دراستهم بل طوال حياتهم. فالمقرر ينبغي أن ينظر له على أنه رحلة تدريبية للطلاب للغوص في بحر الثقافة الإسلامية الزاخر، كما نصوره نحن للطلبة عبر عرض صور معبرة عن الغوص،

وكل صورة لها دلالة خاصة في المقرر. فالطالب هو الذي ينبغي أن تتاح له الفرصة على أن يغوص لاستكشاف هذا البحر الزاخر، وهذا يحتاج تدريب مدروس ومتدرج بحسب اللياقة الفكرية للطالب، ومدى طول نفسه، ومدى صبره ومصابرته، كما يحتاج إلى تحفيز الطالب على الاهتمام بتحصيل العلم والفوائد وتقييدها هو بنفسه، وذلك يتمثل في قيام الطالب - لا الأستاذ - بإعداد ملف للمقرر يحتوي على تلخيصه للمحاضرات والمناقشات والمراجع التي يرجع إليها، ويكتب فيه الطالب الفوائد التي يستفيد منها في خلال رحلته في المقرر، والخواطر التي تخطر بباله، والأسئلة الاستشكالية التي ترد عليه.

وأما الأستاذ فيقوم بدور "النوخذة" أو الريان الملهم والمبدع، يقدم الأدوات اللازمة للغوص ويجفز ويوجه وينبه ويصوب ويسدد ويقود الطلاب ويدربهم بتدرج على "الغوص" في بحر الثقافة الإسلامية، ثم يقوم مدى جودة ما يستكشفوه وما يستخرجوه من ذلك البحر، ويكافئهم على الإنجاز. وعلى الأستاذ "النوخذة" أن يزود الطلاب بالمنهجية العلمية السليمة التي تمكنهم من تمييز الحق من الباطل والصواب من الخطأ.

وإن كانت مثل هذه الرحلة تتطلب جهداً من الطالب إلا أن الثمرة التي يجنيها ستكون ثمينة، وهي استخراج لآلئ من المعرفة والفكر الأصيل، وتمييزها عن الآلئ المزيفة والمغشوشة، وتوظيفها والاستفادة منها في حياته. إنه التعليم بالتغطيس الذي يكسر الحواجز النفسية ويحقق تذوق حلاوة التعلم. إن مثل هذا التذوق هو أكبر محفز ذاتي للتعلم. ولقد ضرب سلفنا الصالح المثل في ذلك، وهذا ما عبر عنه الزمخشري في أبياته الرائعة:

سهرى لتنتقيح العلوم ألد لي  
وتمايلي طربا لحل عويصة  
وصرير أقالمي على أوراقها  
وألد من نقر الفتاة لدفها  
يا من يحاول بالأماني ربتى  
أأبيت سهران الدجى وتبيته  
من وصل غانية وطيب عناق  
أشهى وأحلى من مدامة ساقى  
أحلى من الدوكاء والعشاق  
نقري لألقى الرمل عن أوراق  
كم بين مستغل وآخر راقى  
نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

إن مثل هذا الشعور بلذة العلم ليس حكراً على سلفنا الصالح، بل يمكن أن يتحقق لدى طلابنا كذلك إن نجحنا في تحفيزهم لتذوق حلاوة العلم<sup>(٢٩)</sup>.

### كيف نقدم المنهج بجودة عالية؟

إن الأستاذ الفعّال هو حجر الزاوية في تقديم المنهج بجودة عالية. وكما يقول ويليام جلاسر "المدرس الفعّال هو الذي يستطيع أن يقنع كل الطلبة بالقيام بعمل ذي جودة ... وهو الذي يدير الطلبة من غير إرغام"<sup>(٣٠)</sup>، وذلك أمر غير يسير.

(٢٩) وهذا شاهد يؤيد ما أقول من وصف طالبة لتجربتها في مقرر الثقافة الإسلامية في فصل خريف ٢٠٠٨ م: "ولاني في هذا المقرر لأجد روح التعلم وريحها تعبق بكل مرحلة من مراحله... إن وصولي إلى هذا السطر في هذه الرسالة "المشروع" لإنجاز كبير بالنسبة لي، غمرني بمشاعر مختلطة كثيرة. أهمها اللذة... كتلك اللذة التي يستشعرها الجد حين يقصّ على أحفاده حكايات المسيرة".

(٣٠) المصدر السابق.

فكما يقول جلاسر أيضاً: "ما يخفق الجميع -تقريباً- في استيعابه هو أن امتهان التدريس الفعّال قد يكون أصعب مهنة في مجتمعاتنا"<sup>(٣١)</sup>. ولاسيما وأن التدريس الفعّال ليست وصفات جاهزة، أو ممارسات محددة، والذي يعتقد ذلك واهم، ويناقض معطيات علم التربية الحديث، فالعلم لم يقل كلمته النهائية في فاعلية التدريس، كما تؤكد الأدبيات ذات الصلة. ورغم أن العلم لم يقل كلمته الفيصل في فاعلية التدريس، إلا أن "الكثيرين منا يتصورون أن سلوكيات معينة تخلق تديراً فعالاً ومدرساً فعالاً...!!! يتضح ذلك من خلال تشديد هؤلاء على سلوكيات تدريسية سائدة محددة... تركز على البعد التحصيلي المعرفي المعلوماتي المهاري والمتمثل في نقل معلومات ومعارف ومهارات من فرد لفرد"<sup>(٣٢)</sup>.

وهذا يدعونا إلى طرح السؤال الآتي: ما المقصود بالتدريس الفعّال؟

إنه إيجاد بيئات للتعلم المحفّز والتي ينخرط فيها الطلاب مع محتويات المقرر انخراطاً كاملاً. أما كيفية إيجاد مثل هذه البيئات فهنا يأتي دور مهارات المدرس. ومن أهم هذه المهارات الإبداع في طرق التدريس بما يتلائم مع الموقف التدريسي، وذلك هو أحد عناصر معادلة معايير الفاعلية كما ذكرنا من قبل.

في مثل هذه البيئات تتحقق الإنتاجية التي تقوم على مهارات المدرس. فكما يقول ويليام جلاسر في كتابه "The Quality Teacher" (المدرس المدرسي ذو الجودة) وهو الكتاب المكمل لكتابه "مدرسة الجودة": "الإنتاجية في أي مؤسسة تعليمية تعتمد بالدرجة القصوى على مهارة المدرسين الذين يديرون بشكل مباشر

(٣١) المصدر السابق.

(٣٢) فاعلية التدريس: رؤية نقدية، وتجربة ذاتية، د. إسماعيل المصلح، (دراسة غير منشورة)، ص ٢.

الطلبة، ولكن نجاحهم يعتمد بالكامل تقريباً على مدى حسن إدارتهم هم من قبل المسؤولين فوقهم" (٣٣).

ومن هنا؛ لا بد من تغيير ثقافة المؤسسة تغييراً إيجابياً إن رما ضمان نجاح أي مشروع تطويري.

إن التحدي المتعلق بتغيير ثقافة المؤسسة - وبالأخص في مجال فاعلية التدريس - مرتبط كذلك بتحدي التعاطي مع الإشكالية التي يطلق عليها "اللاوعي المنظمي" (٣٤)، ويقصد به غياب جوهر الوعي المؤسسي بأمر تربوية عديدة، منها قضية فاعلية التدريس، وليس ذلك مجرد عدم معرفة ما يتصل بفاعلية التدريس، بل أيضاً عدم إدراك حقيقة هذه الفاعلية، وعدم الاستجابة المؤسسية الجادة مع هذه المعرفة، وعدم اتساق وانسجام السلوك مع هذه المعرفة.

وعليه؛ فالإشكال ليس فيما يكتب في توصيفات المقررات الجامعية، وإنما في مدى اتساق ما هو مكتوب مع ما هو ممارس. فبالنظر إلى ما هو مكتوب في الوصف العام لمقرر الثقافة الإسلامية في الوضع الراهن (٣٥)، حق لنا أن نتساءل

---

(33) The Quality Teacher, William Glasser (New York: HarperCollins Publishers, Inc. 1998), p.7.

(٣٤) فاعلية التدريس، مصدر سابق، ص ١.

(٣٥) والذي ينص على الآتي: "يهدف مقرر الثقافة الإسلامية إلى بيان النظرة الكلية للثقافة الإسلامية من حيث: فهمها، ومصادرها، وخصائصها، وأهم مكوناتها الفكرية إنجازات الحضارية، وذلك من خلال بيئة تُعَلِّمُ محفَّزةً، توظف استراتيجيات التعلم النشط، القائمة على الحوار، والمناقشة، والتفكير الناقد، ومجموعات العمل التي يشكل الطالب محوراً رئيساً فيها، وكيفية تفاعلها مع قضايا العصر الحاضر"

بعجب شديد: كيف يمكن أن يحقق ما هو مكتوب مع كل القيود المكبلة للأستاذ التي ذكرناها آنفاً؟! كيف!؟

إن تحرير الأستاذ من تلك القيود يتطلب ضروري لتحقيق الفاعلية في التدريس، وهو الشرط الأساس والضمان الأفضل لتحقيق التميز في التعليم الجامعي، كما تؤكد عليه الوثيقة المهمة الصادرة عن اليونسكو بعنوان "التخطيط والإدارة للتميز والكفاءة في التعليم العالي"، والتي تحوي مجموعة دراسات دولية طرحت للنقاش في طاولة مستديرة بالبرلمان الدولي للتخطيط والإدارة للتطوير التربوي عام ١٩٩١م، وقد نصت على أن "الشرط الأساس والضمان الأفضل لتحقيق التميز في التعليم العالي يتمثل في ترسيخ التحرر والاستقلالية في البحث وفي التدريس".

كما أن التحرر والاستقلالية يتطلب ضروري للتخليق في سماء الإبداع اللامحدود، والذي هو أحد العناصر الأساسية في معادلة معايير الفاعلية التي عرضناها في هذه الورقة. وهذا يقودنا إلى طرح السؤال الآتي.

### ما المقصود بالإبداع في مجال التعليم؟

يرى الخبير بمجال الإبداع في التعليم السير كين روبنسون أن موضوع الإبداع (innovation) مرتبط بكل من قوة التخيل (imagination) والقدرة على الابتكار (creativity)، وأن هذه القدرات الثلاث (التخيل والابتكار والإبداع) حيوية لازدهار البشرية<sup>(٣٦)</sup>.

(٣٦) في محاضرة للسير كين روبنسون على اليوتيوب بعنوان "How to build a Culture of Innovation"

(كيف تبني ثقافة إبداع) بتاريخ ١٨ فبراير ٢٠١٥م:

[https://www.youtube.com/watch?v=zABwof\\_oYrw](https://www.youtube.com/watch?v=zABwof_oYrw)

أما قوة التخيل – والتي هي من أعظم القوى التي تميز الإنسان – فيعرفها بأنها "قوة استحضار الذهن لأشياء ليست حاضرة"، لكن هذه القوة لا تكفي لوحدها في تحقيق الإبداع، فقد يقوم شخص بالتخيل طوال يومه لكنه لا يعمل شيئاً. وهنا يأتي دور الابتكار الذي يعرفه بأنه "تخيل تطبيقي" أو "تخيل عملي" أي توجيه التخيل ليكون عملياً، أو "استخدام التخيل في التعاطي مع مشكلة، وتصوير بديل جديد"، أو بتعريف أكثر تحديداً "عملية الحصول على أفكار أصيلة (original) لها قيمة"، وأما الإبداع فيعرفه بأنه "عملية تحويل الأفكار الجيدة إلى ممارسة"، فإن كانت هذه العملية منتظمة – أي وفق منظومة مؤسسية – ومتواصلة ومرتبطة فإننا سنحصل على ما يسميه كين روبنسون "ثقافة الإبداع".

إن ترسيخ "ثقافة الإبداع" أمر حيوي في تحقيق الفاعلية في أي مشروع تطويري، وبالأخص في مجال التعليم. إن هذه الثقافة ينبغي أن ترسخ في التعليم، ولاسيما أن القدرات التخيلية والابتكارية والإبداعية كامنة في عقل الإنسان لكنها تحتاج إلى تحفيز. وهناك وسائل وتقنيات لتحفيز هذه القدرات قابلة للتعلم. من أبرز هذه الوسائل والتقنيات: تقنية العصف الذهني، ووسائل تحفيز المخيلة والذاكرة، وتقنية القراءة التفاعلية، وتقنية الخرائط الذهنية. وهذه الوسائل والتقنيات مهارات ذهنية فعالة، لها آثار إيجابية كبيرة في عملية التعلم، وقد شهدت تطوراً مذهلاً في هذا العصر الذي يطلق عليه "عصر الذكاء" (٣٧).

(37) Minds Maps for Business: Using the Ultimate Thinking Tool to Revolutionise, Tony Buzan with Chris Ghaffiths (Minds Maps for Business: Using the Ultimate Thinking Tool to Revolutionise How You Work, London: Pearson, 2014).

فلذا؛ ينبغي أن تكون هذه المهارات من ضمن المناهج التدريسية. وعليه؛ ندعو وبقوة إلى توظيف هذه الوسائل والتقنيات في تطوير "مقرر الثقافة الإسلامية" وسائر المقررات بحيث يدرب عليها المدرسون تدريباً فعالاً يمكنهم من توظيفها بفاعلية في عملية التدريس وتدريب الطلاب عليها، وليس تدريباً هشاً لا يؤدي إلى التوظيف الفعال للتقنيات، بل يؤدي إلى نتائج سلبية كما هو مشاهد عند كثير من مستخدمي مثل هذه التقنيات، مع تحذيرنا الشديد من أن يكون "الولع" بهذه المهارات على حساب التعمق في العلم والفكر وجودة الأفكار ورصانتها والذي يؤول - بالضرورة - إلى التسطيح والضحالة العلمية والفكرية، كما هو سائد في مؤسساتنا التعليمية للأسف الشديد، وهو الذي يناقض أحد أهم معايير الفاعلية ألا وهو الجودة كما يتعارض مع الأهداف الكبرى للتعليم كما سبق بيانه.

### مستقبل "مقرر الثقافة الإسلامية" في جامعة قطر:

تشهد جامعة قطر في الفترة الراهنة تحولاً إيجابياً جذرياً فيما يتعلق بمقرر الثقافة الإسلامية مما يعد إرهاباً لمستقبل واعد للمقرر في الجامعة بعون الله.

كانت نقطة الانطلاقة في هذا التحول ندوة نظمتها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر - بدعم من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - بتاريخ ٢ من ربيع الأول ١٤٣٧هـ، الموافق ١٣ من ديسمبر ٢٠١٥م، عرضنا فيها ورقة بعنوان "نحو تطوير فعال لمقررات كلية الشريعة: الثقافة الإسلامية نموذجاً"<sup>(٣٨)</sup> وعقب عليها كل من أستاذنا عميد الكلية فضيلة أ.د. يوسف محمود الصديقي، وأستاذنا الكبير أ.د. عدنان زرزور.

(٣٨) والتي هي نواة هذه الورقة.



وعلى إثر الندوة التي كان لها صدى طيب -بفضل الله -أصدر عميد الكلية- الذي يحمل راية التطوير الشامل للكلية -قراراً يقضي بتشكيل لجنة مكونة من مجموعة من أساتذة الكلية<sup>(٣٩)</sup> متنوعي التخصصات لتقويم مقرر الثقافة الإسلامية وتطويره، الأمر الذي ينم عن رغبة شديدة في التطوير الفعال لدى المنتسبين للكلية عمادة وأساتذة وطلاباً. وقد دُعم قرار تشكيل اللجنة من قبل رئيس الجامعة د. حسن الدرهم شخصياً، الذي وجّه برفع القيود والعوائق عن أية عملية تطوير فعلي تراها الكلية.

وفي ضوء هذا التوجيه المشجع؛ شرعت اللجنة المذكورة في مشروع تطوير مقرر الثقافة الإسلامية شكلاً ومضموناً ونهجاً تدريسياً مستندة إلى الموجهات التطويرية التي عرضت في الندوة المشار إليها، بالتزامن مع تخصيص مجموعات تجريبية مستقلة لتنزيل مشروع التطوير بدءاً من هذا الفصل الدراسي (خريف ٢٠١٦م). والمؤشرات الأولية لعمل اللجنة والمجموعات التجريبية مبشرة ولله الحمد.

### الخلاصة والخاتمة:

انطلقت الورقة من تحديد الإشكال - فيما يبدو للباحث - في محاولات تطوير مقرر الثقافة الإسلامية بكونها تفتقر إلى روح التطوير ألا وهو الفاعلية. وحددت الورقة غايتها في تسليط الضوء على معايير التطوير الفعال من خلال تقديم موجهات هادية ومقترحات عملية لتوظيفها في تطوير "مقرر الثقافة الإسلامية بجامعة قطر" بناء

(٣٩) اللجنة مكونة من: د. محمد أبوبكر المصلح (رئيساً)، وعضوية كل من: أ.د. عدنان زرزور، وأ.د. القرشي عبد الرحيم، و أ.د. عبد الجبار سعيد، و د. محمد عياش الكبيسي، و د. موسى الزهراني، ثم انضم إلى اللجنة في فترة لاحقة د. محمد إقبال فرحات.

على تلك المعايير بحيث تكون الورقة "ورقة عمل توجيهية" لأي مشروع تطويري للمقرر يرمي إلى الفاعلية.

ولتحقيق الغرض المنشود استهلكت الورقة بعرض السياق التاريخي لمقرر الثقافة الإسلامية وذلك لاستحضار الدوافع التي أدت إلى إقرار المقرر في الجامعات، وعلاقة هذه الدوافع بأهداف المقرر ومدى الحاجة إليه، وخلصت إلى أن المقرر ظهر في سياق تحدي "الغربة عن الهوية الحضارية والثقافية وانحسار الإبداع الفكري والعلمي" التي حلت بالأمّة عند نشأة الجامعات الحديثة في ظل الاستعمار الأجنبي، والتي زادت حدتها وتعددت جوانبها في ظل العولمة وثقافة العولمة أو عولمة الثقافة. الأمر الذي يؤكد أهمية تبني مدخل التحديات في أي مشروع تطويري للمقرر - أي مدى استجابة المقرر للتحديات التي ينبغي أن يتعاطى معها والتي من أجلها برزت الحاجة إليه - وهو المدخل الذي تبنته الورقة في مقابل المدخل الآخر السائد الذي انتقدته الورقة ألا وهو مدخل تعريف الثقافة والثقافة الإسلامية.

وبعد عرض أبرز التوصيات المؤسسية الدولية التي دعت إلى تدريس مقرر الثقافة الإسلامية في الجامعات وتطويره، عرضت الورقة تجربة جامعة قطر في تحويل تلك التوصيات إلى واقع وأبرز التحولات في المقرر، وناقشت أهم الإشكالات في تلك التحولات سواء كانت على مستوى الأهداف، أو المنهج والمفردات، أو النهج التدريسي، أو سياسات التقويم، ومن ثم خلصت الورقة إلى أن هذه التحولات مقيدة للأستاذ تقييداً يكاد يلغي دوره وتحول دون الإبداع كما أنها تفتقر إلى الفاعلية.

ومن هنا: تناولت الورقة - بقدر من التفصيل - معايير الفاعلية التي يمكن أن يقاس بها مدى تحقق الفاعلية في أي مشروع تطويري وذلك على شكل معادلة تتفاعل فيها أربعة عناصر: تحقيق أهداف نوعية بجودة عالية وبطرق إبداعية وباستثمار رشيد للموارد، والتي هي بمثابة "الميزان المنهجي" الذي عيرت به المقترحات التطويرية التي طرحتها الورقة، والتي شملت: جوانب التحدي التي ينبغي أن يتعاطى معها المقرر، وأهداف نوعية مقترحة للمقرر بناء على معايير الأهداف النوعية، وموجهات لكيفية تجسيد الأهداف النوعية في منهج ذي جودة في ضوء مفهوم الجودة في التعليم، وموجهات لكيفية تقديم المنهج بفاعلية في ضوء مفهومي التدريس الفعال والإبداع في مجال التعليم.

وقبل الختام؛ كشفت الورقة عن مشروع تطوير مقرر الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر في ضوء أهم الموجهات التي وردت في هذه الورقة.

وختاماً؛ الله نسأل أن يكون هذا المشروع فتحاً في الثقافة الإسلامية في الجامعات.

\*\*\*\*\*

## المراجع:

- إدارة المدرسة القطرية من التسيير إلى التطوير، د. إسماعيل المصلح (دراسة قدمت للمؤتمر الأول حول "الإدارة التربوية والمتطلبات المستقبلية"، كلية التربية، جامعة الكويت، ١٩٩٩م).
- بحوث في الثقافة الإسلامية، أ.د. حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون (القاهرة: دار الحكمة، ١٩٩٣م).
- الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً، عبد الله بن إبراهيم الطريقي وآخرون (دراسة نظيرية وتعريفية موجزة أعدها مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض، ١٤١٧هـ).
- الثقافة الإسلامية في الجامعات، أ.د. عدنان زرزور (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٠م).
- الثقافة الإسلامية في الجامعات العربية، شافي بن سفر الهاجري (رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة أم درمان الإسلامية، ١٩٩٩م).

- الثقافة الإسلامية وحاجة الطالب الجامعي إليها: رؤية مستقبلية لمقررات الثقافة الإسلامية في جامعة طيبة، سلطان بن علي محمد شاهين، (مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثانية، العدد ٤، ١٤٣٥هـ).
- الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة، أ.د. حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون (الدوحة: مطابع الدوحة الحديثة، ٢٠٠٠م)

Designing Effective and Innovative Courses (NAGT, 2010:  
<http://serc.carleton.edu/NAGTWorkshops/coursedesign2010/index.html>

- Minds Maps for Business: Using the Ultimate Thinking Tool to Revolutionise, Tony Buzan with Chris Ghriffiths (Minds Maps for Business: Using the Ultimate Thinking Tool to Revolutionise How You Work, London: Pearson, 2014).
- Covey و Steven (2011), The 3r Alternative, New York: Free Press.
- Creelman James & Sebastian Rubens y Rojo (2015). Executing Strategy: The Critical Role of Culture, Part I: Creating a Strategy-Aligned Culture, Palladium Group, Inc.

- Eagleton, Terry (2000). The Idea of Culture, Oxford, UK: Blackwell Publishers Ltd.
- The Quality School: Managing Students Without Coercion, William Glasser (New York: HarperCollins Publishers, Inc., 1998).
- Norton, David P [Founder and Director] (2007) Strategy Execution: A Competency that Creates Competitive Advantage, Palladium Group, Inc (<http://thepalladiumgroup.com>).
- Robinson, Ken Sir, (2015) How to build a Culture of Innovation, Tid Talk on youtube. ([https://www.youtube.com/watch?v=zABwof\\_oYrw](https://www.youtube.com/watch?v=zABwof_oYrw))
- عقائد وتيارات فكرية معاصرة، أ.د. محمد شامة وآخرون (الدوحة: دار قطري بن الفجاءة).
- فاعلية التدريس: رؤية نقدية، وتجربة ذاتية، د. إسماعيل المصلح، (دراسة غير منشورة).

- مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م).
- من أجل تمييز التربية القطرية: إعادة هندسة للتفكير الإداري المهيمن، د. إسماعيل المصلح (دراسة قدمت لمؤتمر "الجودة: الكفاءة والإتقان والتميز" الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، الكويت، ٢٠٠٢م).
- ميليشيا الإلحاد، عبد الله بن صالح العجيري (لندن: تكوين، ٢٠١٤م).